

شعر المقاومة

بين لهيب الكلمات وبرود الصفحات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم أجمعين ، وبعد:

إذا أردنا أن نعرف أدب المقاومة فهو :

كل جنس أدبي كتب لمناهضة قوى البغي والظلم والقهر لتوعية الشعوب المنكوبة ، ولاستنهاض هممها لتغيير هذا الحال.

وهو نتاج فكري يقوم بدور الرفض والتمرد على الاحتلال ، وتوجيه الجماهير نحو المحافظة على وجودها الحضاري ، مستفيداً من الشعر العربي القديم الذي كان يقدر البطولة والفروسية ويتغنى بالفتوحات الإسلامية التي انطلقت في مشارق الأرض ومغاربها.

بدأ شعر المقاومة مع بداية الدعوة الإسلامية ، مستنداً إلى القرآن في قوله تعالى في سورة الشعراء: " والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ."

إن الاستثناء الذي كررته الآية يفتح المجال للأديب المسلم أن يخوض غمار الأدب مدافعاً عن دينه وعرضه وأرضه وكل ما يملك ، وقد ركزت الآية على الأديب المسلم الذي انتصر بإنتاجه الأدبي على قوى البغي والظلم . وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة حيث شن الشعراء من كفار قريش هجوماً على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى الدعوة الإسلامية ، فبدأ يبحث عن يردع هؤلاء بشدة ، فقال قائل موجهاً الخطاب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه " اهج عنا القوم الذين يهجوننا" فقال صلى الله عليه وسلم : "إن علياً ليس عنده ما يراد في ذلك منه " ، ثم قال صلى الله عليه وسلم:

" ما يمنع القوم الذين نصرنا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" ، فانبرى حسان قائلاً : " إني لها يا رسول الله " ، وبدأ حسان يهجو كفار قريش دفاعاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن هذه الدعوة الإسلامية الجديدة حتى أعجب به النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: " اهج قريشاً فوائه هجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ".وقوله صلى الله عليه وسلم: " لهذا أشد عليهم من وقع النبل " ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يسو بين رسالتي القتال والشعر ، بل فضل الشعر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل " أي الدم المدفق من ضربة النبل في الجسد، ولقد بدأ شعر

المقاومة على لسان حسان بن ثابت - رضي الله عنه- حين قال راداً على هجاء قريش بهجاء مماثل ومهدداً لهم بقتال شرس يعيدهم إلى جادة الصواب ، فقال :

وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعز الله فيه من يشاء
لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

فقد جمع حسان بين إحكام القوافي والضرب في المعارك مساوياً بين الوسيلتين القتاليتين؛ لأن الأولى تتعلق بالحرب الإعلامية والثانية بالحرب الفعلية.

وقد شارك في شعر المقاومة هذا مع حسان رضي الله عنه، عبد الله بن رواحة وكعب بن زهير رضي الله عنهما، وواكب الأدب المقاوم الحقب الزمنية المختلفة ، وعلى سبيل المثال لو أخذنا الحقبة الأندلسية لوجدنا قصيدة الشاعر الزاهد أبي إسحق الإلبيري عندما عين حاكم غرناطة "ابن باديس" وزيره الأول يهودياً "يوسف بن النغيلة" - خوفاً من طمع ذوي القرى في ملكه - فغدا يتحكم هو ومن معه من يهود غرناطة بمصائر المسلمين، ويذيقونهم الذل والهوان، في الوقت الذي ارتفع فيه شأن يهود وتناولوا على المسلمين، ووصل الأمر بالوزير إلى التفكير بإنشاء دولة يهودية في "المرية" وذلك بالتآمر مع ابن صمادح، فأدرك ذلك الإلبيري، الذي بدوره كتب قصيدته المشهورة التي حرّض فيها قبيلة صنهاجة على الثورة ضد يهود، وقد تم ذلك حيث خرجت جموع المسلمين فقتلت الوزير، وقتلت عدداً كبيراً من اليهود؛ حتى سالت دماؤهم في شوارع غرناطة، وفي ذلك يقول الشنتريني: "فما كان اليوم الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه، وإراحة عباده وبلادهم منه نذر به أولئك المغاربة فأعلنوا بالصياح، وثاروا إلى السلاح، وأتى الصريخ بقية الجند وعامة أهل البلد، ونادى مناديهم: غدر اليهودي وخان، وطاح المظفر وخان، فدخلوا القصر من كل باب، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب، فقتل في بعض خزائن الفحم ... وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف، ملحمة من ملاحم بني إسرائيل، باعوا بذلها، وطال عهدهم بمثلها".^(١)

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩) ق ١، م ٢، ص ٧٦٩.
وانظر، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس: خالد يونس الخالدي (غزة، دار الأرقم، ٢٠٠٠) ص ١٧٠-١٧٤.

وقال الإلبيري في قصيدته: (٢)

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الزمان وأسد العرين
لقد زلّ سيدكم زلة تفرّ بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافراً ولو شاء كان من المؤمنين
فعر اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأذلين

وقد نبّه الشاعر أن المكانة التي وصل إليها ليست من سعيهم إنما من حاكم غرناطة من أجل الحفاظ على ملكه، وهذا حال ساسة الأمة الذين يسالمون اليهود ويخطبون ودّهم فقال الإلبيري: (٣)

وما كان ذلك من سعيهم ولكن منا يقوم المعين
وقد أرشدنا الشاعر المجاهد إلى الحل الذي تستأصل به شأفة يهود حين خاطب كل صاحب نخوة من أهل غرناطة قائلاً: (٤)

فبادرْ إلى ذبحه قرية وضحّ به فهو كبش سمين
ولا ترفع الضغط عن رهطه فقد كنزوا كل علق ثمين
وفرّق عراهم وخذ مالهم فأنتم أحق بما يجمعون
ولا تحسبنّ قتلهم غدره بل الغدر في تركهم يعبثون
وراقب إلهك في حزبه فحزب الإله هم الغالبون

وإن هذا الدور الذي مثلته قصيدة الإلبيري في محاربة يهود هو الدور الذي قام به الشعر الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين، والذي كان سهماً نافذاً في قلب المغتصب البريطاني والصهيوني على حدٍ سواء، وهو ما حدا بالحكومة البريطانية آنذاك أن تصدر تشريعاً ظالماً يتم بموجبه تكميم الأفواه الداعية إلى الثورة، إذ جعلت كلَّ تحريضٍ على الثورة باللسان، أو بالقلم جريمةً عقابها السجن.

وقد واكب أدب المقاومة قضايا أمتنا أمام المستعمر، فكانت الأجناس الأدبية وخاصة الشعر الذي يعد أكثر الأجناس الأدبية استجابة للتحوّلات التاريخية، والأحداث المفصلية التي

(٢) ديوان الإلبيري: "أبو إسحق إبراهيم بن مسعود التجيبي" تحقيق محمد رضوان الداية، ط ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩١) ص ١٠٨.

(٣) السابق، ص ١٠٨.

(٤) السابق، ص ١١٢.

تمر بها الأمة، ومن ذلك قول علي محمود طه في دفاعه عن فلسطين حاضاً الهمم لتحريرها
والدفاع عنها :

أخي، جاوز الظالمون المدى فحقّ الجهادُ، وحقّ الفدى
أنتركهم يغضبون العروبة مجد الأبوّة والسوددا؟
وليسوا بغير صليل السيوف يُجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرّد حسامك من غمده فليس له، بعدُ، أن يُعمدا

كما تابع الشعراء القضايا المطروحة على ساحة العمل السياسي، والأخطار التي كانت
تمر بها بلادهم نتيجة تخاذل العرب وعدم جديتهم في حمل عبء القضية فاستحقوا بذلك سخرية
إبراهيم طوقان منهم حين قال:

أنتم المخلصون للوطنية أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون من غير قول بارك الله في الزنود القوية
وبيان منكم يعادل جيشاً بمعدّات زحفه الحريية
واجتماع منكم يردّ علينا غابر المجد من فتوح أمية
وخلاص البلاد صار على الباب وجاءت أعياده الوردية
ما جحدنا أفضالكم غير أنّا لم تزل في نفوسنا أمنية
في يدينا بقية من بلاد فاستريحوا كي لا تطير البقية

وبرز في هذا المجال عبد الرحيم محمود بشعره الرصين والمقاوم، حين قال :

سأحمل روحي على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيب العدا
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى
فما العيش لا عشت ان لم أكن مخوف الجناب حرام الحمى
إذا قلت أصغى لى العالمون ودوى مقالى بين السورى
لعمرك إنى أرى مصرعى ولكن أغذ اليه الخطى
أرى مقتلى دون حقى السليب ودون بلادى هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتا شريفا فذا

واستمر شعر المقاومة بين النكبتين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ؛ معبراً عن صدمة الأمة بالهزائم

والنكسات مصوراً حياة اللجوء والضياع التي مني بها شعبنا ، وفي ذلك يقول محمد القيسي:

معتقة جرار الحزن من عشرين في قلبي
أشيل عذابها الموروث في روعي وفي هديي
ولا أسطيع إفلاتا ونسيانا
وتصفعني عيون الغير في المنفى تعريني
, تشير إليّ
أين تروح ، أيّ هوية تحمل ؟ -
.....؟
فلسطيني ، أجل إنّي فلسطيني -

ولم تكن نظرة الشعراء مترجمة لما يرونه من جرائم المحتل المغتصب وإنما تتبؤا بما
ستؤول إليه الأحوال في مستقبل القضية فأسدوا نصائحهم لأبناء الأمة منبهين ومحذرين ، من
ذلك قول الشاعر المصري هاشم الرفاعي :

سيحدثونك يا بني عن السلام
إياك أن تصغي إليّ هذا الكلام
كالطفل يخدع بالمنى حتى ينام
لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام
صدقتهم يوماً فأوتتني الخيام
وغدا طعامي من نوال المحسنين
يلقى إليّ إليّ الجياع اللاجئين
فسلامهم مكر وأمنهم سراب
نشروا الدمار على بلادك والخراب

وقد استمر شعر المقاومة بعد ١٩٦٧ رغم صعوبة المنفى وقسوة الغربة، وقد توجه نحو
الأمة مستهضاً لهممها ، ومستبشراً بأجيالها الصاعدة، وفي ذلك يقول الشاعر محمود مفلح:

وأقول للجيل الجديد
أقول للجيل المحصن بالعقيدة والمتوج بالصباح
وأقول يا جيل الكفاح ...
إننا بلونا الليل والأشباه والموت المؤجل والجراح
وأقول يا جيل المصاحف...

يا خمير الأرض ... يا طلق الولاده..
... ها أنت كالينبوع تدفق في صحارينا
وتمنحنا الوثيقه والشهاده..

أنت الذي يقات جمر المرحلة
ها إن أحبار اليهود تجمعوا.. ها إنهم حشدوا لنا
.."فاقرأ على تلك الرؤوس" الزلزله ..

أما الانتفاضتان المعاصرتان الأولى والثانية فقد استحوذتا على عواطف الشعراء
وأحاسيسهم ففاضت قرائحهم بشعر عذب ؛ مما دفعني لجمعه في شعر انتفاضة الأقصى
المباركة الجزء الأول والجزء الثاني ، ومن هؤلاء الشعراء: القادة السياسيون الذين قادوا الميدان
فعلاً وقولاً، زمنهم الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي نبّه إلى أن الأوطان لا تعود إلا بالدماء
والأشلاء وليس بالتخاذل والبكاء، فيقول:

قم للوطن وادفع دماك له ثمن واطرح بعيداً كل أسباب الوهن
فالموت أهون من غبار مذلة فلرب ذلٍ دام مابقي الزمن
خل البكاء إلى النساء مطية واربأ بنفسك أن تسريل بالحزن
إن جردت أسد الكتائب سيفها سهل البلاد وغورها أبداً يصن
أما إذا صار التخاذل شرعة كلا وربك لن يقوم لنا وطن

أما إبراهيم المقادمة فكان على يقين من لحظة الخلاص والانتعاق من رقة المحتل، والعودة
إلى الأوطان باتت حقيقة واقعة تؤكد لها مشاهد الجهاد والمطاردة للعدو وتزكيها دماء الشهداء
والجرحى ، فيقول:

عائد من ثنايا غررتي السوداء عائد
عائد مثل فجّ النور في قلب المجاهد
عائد مثلما حقي لباطلهم يطارد
عائد روجي على كفي وللعلياء صاعد

وما زال شعر المقاومة مواكباً للفعل المقاوم حتى الحرب الأخيرة على غزة التي أسماها عدونا
" الرصاص المصبوب " وأسماها مجاهدونا " معركة الفرقان " ، فشكلت هذه الحرب زادا إضافياً
لشعراء المقاومة الذين ما كلت أقلامهم تحرض وتستهض وتثور وتستتكر التخاذل والتأمر ، وفي
ذلك يقول الشاعر:

لغزة في العُلا شأنٌ عظيمٌ وهاماتٌ من الأبطالِ تترا

وصبرُ نساءها في الجوع حُلُوً وتبقى كالجبال الراسخات
وينثرُ أهلها للناس فخرًا وعالُ صغارها تغتالُ كسرا
وتكالبُ ضدها كلُّ الأعداي ولا ننسى من الأعرابِ مصرا
وأُغلقَت المعابرُ جائراتٍ وجُوعَ أهلها ظلما وقسرا
وحكام الأعراب لا يذودوا وقد أخذوا عن الأيتامِ وزرا
وليسَ بأمرهم يُسقى اليتامى وليس بفضلهم يُعطونَ تمرا
فلو سارتُ أمانهم بأرضي لما أبقوا من الأوطانِ صخرا
وباعوا الأرضَ بالثمن الزهيدِ كما باعوا من الأوطانِ صبرا
وما خافوا من الأقدار جهلاً وما أبقوا من الخيراتِ بذرا
فيا أسفي على الأوطانِ لما يسيرُ بأمرها من كان صيفرا
فسحقاً للآلى نصرُوا الأعداي وباعوا الشعبَ والأوطانَ مكرًا

وإذا كان لهيب الشعر قد أدى دوره ، فإن برودة الصفحات قد أوجدت مفارقة تركت أثرها في ذهن الأجيال ، فالمتلقي - أعني الطالب - أكثر من تأثر بهذه المفارقة ، فهو يسمع ما يلهب مشاعره ، فيتصدى للمحتل بكل مل أوتي من قوة ويقرأ في صفحاته المدرسية ما يناقض ذلك ولناخذ أمثلة من الكتب نفسها على النحو الآتي:

١ - كتاب المطالعة والنصوص للصف الثامن الأساسي ، الجزء الأول :

وردت قصيدة عمرو بن أبي ربيعة بعنوان " ليت هنداً": مخاطباً محبوبته

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدُّ وشَقَّتْ أنفسنا مما تَجِدُ
واسْتَبَدَّتْ مرةً واحدةً ، إنما العاجز من لا يستبدُّ
...قُلْتُ مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا مَنْ شَفَّهُ الْوَجْدُ وَأَبْلَاهُ الْكَمَدُ
...كُلَّمَا قُلْتُ مَتَى مِيعَادُنَا ضَحِكْتَ هِنْدٌ وَقَالَتْ بَعْدَ عَدِّ

٢ - كتاب المطالعة والنصوص للصف الثامن الأساسي ، الجزء الثاني:

وردت قصيدة " جادك الغيث" في الغزل الصريح للسان الدين بن الخطيب، وقد تشوق فيها لمحبوبته:

جادك الغيث إذا الغيث همي يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصالك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

فأعيدوا عهد أنس قد مضى تعتقوا عبدكم من كربه

واتقوا الله وأحيوا مغرماً يتلاشى نفساً في نفس
حبس القلب عليكم كرمأً أفترضون عفاء الحبس

وقد ورد في معاني الكلمات في الكتاب :

الأنس: الحديث إلى النساء ومغازلتهن.

الحُبس: مفردها حبيس ويعني هنا القلب المحبوس في سبيل الحب.

اللمى: سمرة تستحسن في الشفة .

ناهيك من أنه صور نفسه عبداً للمحبة ، ويدعو بتقوى الله لمن حال بينه وبينها.

٣ كتاب المطالعة والنصوص للصف التاسع الأساسي ،الجزء الثاني:

وردت فيه رباعيات الخيام لعمر الخيام قائلاً:

أولى بهذا القلب أن يخفقا و في ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذي قد مر بي من غير أن أهوى و أن أعشقا

القلب قد أضناه عشق الجمال و الصدر قد ضاق بما لا يقال
يا رب هل يرضيك هذا الظما و الماء ينساب أمامي زلال

وله أيضاً:

تتأثرت أيام هذا العمر تتأثر الأوراق حول الشجر
فانعم من الدنيا بلذاتها من قبل أن تسفيك كف القدر

واغنم من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الأمان

أين ذلك من قوله تعالى : " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

وورد فيه أيضاً قصيدة "ظبية البان" للشريف الرضي يخاطب محبوبته في غزل صريح وفاضح:

يا ظبيّة البانِ ترعى في حَمائلِهِ لِيَهَنَكَ اليَوْمَ أَنَّ القَلْبَ مَرعَاكِ
الماءُ عِنْدَكَ مَبذولٌ لِشَارِيهِ وَلَيْسَ يُرَوِّيكِ إِلَّا مَدَمَعِي البَاكِ
عندي رسائل شوق لست أذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى مَنْ عَلَّمَ العَيْنَ أَنَّ القَلْبَ يَهوَاكِ
يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا ونطفة غمست فيها ثناياك
وَحَبَّذا وَقْفَةً ، وَالرَّكْبُ مُغْتَفِلٌ عَلَى ثَرَى وَخَدَّتْ فِيهِ مَطَايَاكِ

******وقد أعجبتني قصيدة " اليتيمة" التي وردت في كتاب المطالعة والنصوص للصف التاسع - الجزء الأول ، والتي قيلت في "دعد" عندما تبارى الشعراء في اتخاذها زوجة وليست حبيبة، وفيها من الأبيات التي تشي بالعفة والطهر:

متجلبب ثوب العفاف وقد غفل الرقيب وأمکن الورد
ومجانب فعل القبيح وقد وصل الحبيب وأسعد السعد

٤ - كتاب اللغة العربية (المطالعة ، والأدب، والنقد) للصف الحادي عشر - الجزء الأول:

وردت فيه قصيدة " ليلي المريضة" للشاعر قيس بن الملوح ، قال فيها متغزلاً بليلى:

غرابيه الفرعين بدريّة السنا ومنظرها بادي الجمال أنيق
وقد صرت مجنوناً من الحب هائماً كأنني عان في القيود وثيق
برى حبها جسمي وقلبي ومهجتي فلم يبقَ إلا أعظم وعروق
فلا تعدلوني إن هلكت ترحموا علي ففقد الروح ليس يعوق
وخطوا علي قبوري إذا مت واكتبوا قتيل لحاظ مات وهو عشيق

لم يخلقنا الله لهذا ، وإنما قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"

إلى جانب أن مساحة الغزل في هذا الكتاب كبيرة من ص ١١٩-١٢٨:

- ليلي المريضة مع تحليل للقصيدة.

- الغزل العذري وعوامل ازدهاره وخصائصه.

- كذلك أسئلة الكتاب اشتملت على كم من أشعار غزل متفرقة.

هذه المساحة الكبيرة في الغزل في العصر الأموي تدعونا إلى السؤال عن أغراض أخرى كان لها حضورٌ متميزٌ في هذا العصر كغرض الزهد مثلاً، فقد امتلأت العراق والحجاز بالشعراء الزهاد ، وسأورد موضوعاً متكاملًا للزهد؛ ليكون درساً وأنموذجاً لذلك.

الزهد في العصر الأموي:

على الرغم من انفتاح الدنيا بكل مباحها على الدولة الأموية ، إلا أننا وجدنا أناساً زهدوا في الدنيا وأقبلوا على الله وعاشوا حياةً فيها التقى والطهر والعفاف والقناعة بالقليل من الزاد ، حتى شكلوا تياراً له تأثيره في المجتمع.

هذا وقد انتشر تيار الزهد في كل أرجاء الدولة الإسلامية ، ولكنه تجلى بصورة واضحة في العراق، ففي هذا الإقليم وُجد كثير من النساك وقد أطلق عليهم اسم العباد أي الذين يعكفون على

عبادة الله وهم قوم مثل معضد بن يزيد المجلي الذي اشترك في فتح أذربيجان في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وزياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم ، ومن الملاحظ أن كثيراً من هؤلاء الزهاد شاركوا في الفتوح الإسلامية.

وقد ارتفعت صيحات الشعراء تنادي بنبذ الحياة الدنيا والتمسك بالآخرة وتحذر من الانغماس في مغريات الحياة ومفاتها التي أنست المسلمين دينهم ، وأبعدتهم عنه . ومن يراجع دواوين وأشعار شعراء عصر بني أمية يلاحظ التأثير الواضح بمبادئ الدين الإسلامي ودعوته إلى الأخلاق الفاضلة ، ولكن هذا التأثير يختلف من شاعر إلى آخر حسب نفسيته وصلتها بالإسلام ، وحتى الشعراء الذين عرفوا بالخلاعة والاستهتار كالفرزدق لم يكونوا بمنأى عن هذا التأثير ، كما وجدنا الأخطل رغم نصرانيته إلا أنه تأثر بمبادئ وأفكار ومثل الدين الإسلامي لأنه يعيش في بيئة إسلامية.

وقد تعددت موضوعات الزهد في عصر بني أمية ، ومن هذه الموضوعات التذكير بالآخرة، والتوكل على الله ، وذم الخمر وشاربها ، والدعوة إلى الصلاة ، والأدعية والابتهالات ، والدعوة إلى تقوى الله ، والنصائح ، والمواعظ العامة ، ومنها على سبيل المثال:

١- الدعوة إلى الصلاة :

قال وضاح اليمن يلوم نفسه: (عيون الأخبار : ابن قتيبة ٣٧٤/٢)

مَالِكَ وَضَّاحٍ دَائِمَ الْغَزْلِ	أَلَسْتَ تَخْشَى تَقَارِبَ الْأَجْلِ
صَلِّ لِيذِي الْعَرْشِ وَأَتَّخِذْ قَدَمًا	تُجْبِكَ يَوْمَ الْعِنَارِ وَالزَّلْلِ
يَا مَوْتُ مَا إِنْ تَرَأَلُ مُعْتَرِضًا	لِأَمَلٍ دُونَ مُنْتَهَى الْأَمَلِ
لَوْ كَانَ مَنْ فَرَّ مِنْكَ مُنْفِلِتًا	إِذَا لِأَسْرَعَتْ رِحْلَةَ الْجَمَلِ
لَكِنَّ كَفَيْكَ نَالَ طَوْلُهُمَا	مَا كَلَّ عَنْهُ نَجَائِبُ الْإِبِلِ
تَنَالُ كَفَّاكَ كُلَّ مُسَهَلَةٍ	وَحُوتَ بَحْرٍ وَمَعْقَلَ الْوَعْلِ

٢- التذكير بالموت:

قال مالك بن دينار البصري : (عيون الأخبار : ابن قتيبة ٣٠٢/٢)

أُتيت القبورَ فناديئُهُنَّ — وأين المدلُّ بسلطانه
وأين المذكى إذا ما افتخُرَ فنوديت من بينها لا أرى
شخصاً لهم ولا من أثرُ تفانوا جميعاً فما مُخبرٌ
وماتوا جميعاً وماتَ الخبزُ تروحُ وتغدو بناتُ الثرى
وتمحى محاسنُ تلك الصوَرُ فيا سائلي عن أناس مَضَوْا
أمالك فيما ترى مُعتَبِرُ

٣- الدعوة إلى تقوى الله :

قال خالد بن يزيد: (العقد الفريد : ابن عبد ربه ٢/٢٣٢) :

هَلْ أَنْتِ مُنْتَفِعٌ بَعْلُ — مَكْ مَرَّةً وَالْعِلْمُ نَافِعُ
وَمِنِ الْمَشِيرِ عَلَيْكَ بِالْ — رَأْيِ الْمُسَدِّدِ أَنْتِ سَامِعُ
الْمَوْتِ حَوْضٌ لَا مَحَا — لَةَ فِيهِ كُلُّ الْخَلْقِ شَارِعُ
وَمِنِ التَّقَى فَازْرَعِ فَإِنَّ — كَ حَاصِدًا مَا أَنْتِ زَارِعُ

٤- الاعتاض بالشيب:

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : (الأمالي: أبو علي القالي ٢/٤٤)

إنه الفؤاد عن الصبا — وعن انقيادٍ للهوى
فلعمر ربك إن في — شيب المفارق والجلي
لك واعظاً لو كنت تتد — عظ اتعاض ذوي النهى
حتى متى لا ترعوي — والى متى؟ وإلى متى؟
ما بعد أن سميت كهـ — لاً واستلبت اسم الفتى
بلي الشباب وأنت إن — عمّرت رهناً للبلى
وكفى بذلك زاجرا — للمرء عن غيِّ كفى

الخصائص الموضوعية والفنية في شعر الزهد :

يتميز هذا اللون من الشعر بالسهولة والوضوح حيث يقترب أحياناً في صياغته من النثر، وتأتي قصائد الزهد في الكثير من الأحيان على هيئة عظات أشبه ما تكون بالخطب الوعظية صادقة العاطفة الروحية وغزيرة المضمون الديني ، مما صرف الشعراء عن الاهتمام بالظواهر الفنية الأخرى للشعر .

كما انتشرت الحكم في شعر الزهد انتشاراً واسعاً ، فالشعراء يقدمون خلاصة تجاربهم في الحياة لبني جنسهم ؛ ليصلوا بهم إلى سعادة الدنيا والآخرة

وقد اتخذت قصيدة الزهد في كثير من الأحيان شكل الدعاء إلى الله والابتهاال إليه ومناجاته ،
ومن أمثله قول الشاعر هدية بن الخشم : (الأخبار الطوال / ٢٧٧)

أَذا العَرشِ إِنِّي مُسَلِّمٌ بِكَ عَائِذٌ مِنْ النارِ ذُو بَتٍّ إِلَيْكَ فَفَيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ قالُوا أَميرٌ وَتَابِعٌ وَحُرَّاسُ أَبوابٍ لَهْنٌ صَريرُ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تَدِنَ فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرُ فَأَنْتَ غَفورُ

٥- اللغة العربية (المطالعة ، والأدب، والنقد) للصف الحادي عشر- الجزء الثاني:

ورد فيها قصيدة ابن زيدون في الغزل الصريح بعنوان " أضحي التتائي " قائلاً:

يا روضةً طالما أَجْنَتِ لَوَاحِظُنَا وردًا أَجلاه الصبا غُضًّا ونَسْرِينَا
ويا حياةً تَمَلَّيْنَا بزهرتها مُنَى ضُرُوبًا وَلِدَاتِ أَفانِينَا
دومي على العهد، ما دُمْنَا، مُحَافِظَةٌ فالحُرُّ مَنْ دانَ إِنْصافًا كما دِينَا
عليك مِني سلامٌ اللهُ ما بَقِيَتْ صَبابَةٌ مِنْكَ نُخْفِيها فَتُخْفِينَا

فإذا كانت هذه القصيدة من روائع الأدب الأندلسي، فإن بائية ابن خفاجة لا تقل روعة
عنها، فهي تمزج بين شعر الطبيعة، وبين فلسفة الحياة والموت، وفيها من القيم والمثل ما يستفیده
أبناؤنا، وفيها يقول:

وأرعن طمّاح الذّوابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح من كل جهة ويـزحم ليلا شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر بالعواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت إليه وهو أخرس صامت فحدثني ليل السرى بالعجائب
ووردت موشحة ابن بقي في الغزل:

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعي

أي ريم رمته فاجتتبا

وانتلى يهتز من سكر الصبا

كقضب هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا واطرح أسباب هجري ودع

كان من الممكن أن نأتي بأنموذج آخر على فن الموشحات فيه من المبادئ والقيم ما

يفيد منه الطلبة مثل قول الوشاح مثلا :

زخرف الـ_____ دنيا غـ_____رور

وغدداً عنده المسير
ليس ينفـع السـرور
من غدا فيها مرفـع تُبُّ إلى مولاك وارجع
ليس للـدنيا دوام
لا ولا فيها مقـام
غـرَّ أهـليهـا غـمـام
عن قـريب يتقشـع تب إلى مولاك وارجع
قـدم الإحـسان فيـها
ولـتكن عنـها نـزيهـا
فـي غـد تـكـن وجـيهـا
باليسير منها فاقنع تب إلى مولاك وارجع

ثم ورد في هذا الكتاب تحت عنوان " بيئة الحجاز " الآتي :
" انصرف شعراء الحجاز إلى الغزل بنوعيه: الصريح والعذري، وأصبح حديث المرأة وعلاقتها
أبرز سمات الشعر وأظهرها في تلك الفترة" .

وأورد الكتاب أنموذجاً شعرياً مخجلاً لعمر بن أبي ربيعة قال فيه:

قالت تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشدت في أثري

في هذين البيتين دعوة للفتيات للتصدي للشباب ومعاكستهم واللحاق بهم، مما لا يليق
بأي عصر من عصور الإسلام، وشعر عمر ابن أبي ربيعة ليس صورة لهذا العصر، لأن
شعره كما يورد المؤرخ محمد شاکر " كان يتغزل بهذه النساء بالخيال، وينظم الشعر من
السماع، ولم يعرف هذا الشعر إلا بعد مدة، ولا ندري لعله أضيف إليه الكثير من الشعر
المنحول، ولو كان عرف هذا الشعر في أيام عمر ابن أبي ربيعة لنال جزاءه مباشرة من
ال خليفة الذي هناك عرضه أو من السادة الذين هناك سترهم "

٦ - اللغة العربية (المطالعة والأدب والنقد) الصف الثاني الثانوي.

وردت قصة " خبز الفداء " فهي رغم روعتها؛ إلا أن فيها من المآخذ ما يجعلها غير مناسبة
للجيل الذي تعطى له، مثل :

- وأنا رامز... ورفاقي يسمونني العريف.. ألا نتصافح؟

- وأعطته يدها ضاحكة ثم انسلت بخفة كما جاءت..
- ورآها في الطريق. لم تكن في ثياب الممرضات.. فاعترض طريقها
- وأعطته يدها فصافحها
- ورتت ضحكاتها الفضية.. وضبطته يتطلع إليها فاحمرت ..
- هل أستطيع أن أراك في مكان ما...
- ولكننا إخوان سلاح.. إنني أدرب طوابير من الجنسين على استعمال البندقية.. تعالي
- إلى نادي الميناء سنتحدث قليلاً بعد أن أفرغ من التدريب...
- واتفق على حضورها في الثالثة، ثم انهمك في تدريب طابور ناعم
- وأعطها لها، ولما مدّ يده ليسترجعها ضغط على يدها قليلاً ثم أرخاها، وتركها تداري
- خجلها
- لا ليس بسببك.. صحيح أنني أحبك... ولكنك لست كل شي.
- ولقد رأى من حقه وحده أن يمشي معها قليلاً وهي عائدة، وأن يمسك بأطراف أصابعها
- بيد مرتعشة.
- هذه الجرعات الغزلية التي تحطم منظومة القيم الأخلاقية وتتنافى مع قيمنا الدينية من شأنها أن تحدث المفارقة وتوسع الهوة بين ما هو مطلوب للدين والأوطان متمثلاً
- بتعاليم السماء والأدب المنبثق عن هذه التعاليم وبين الطلاب الذين من المفترض أن يحملوا هذه التعاليم وهذه القيم .
- ولا تُجسر هذه الهوة ولا تضيق المسافة إلا بإزالة هذه النماذج ، ووضع بدائل
- تتكامل مع منظومة الأخلاق والأدب المقاوم.
- وأخيراً، لا بد لنا كشعب مقاوم أن نلهب صفحات مناهجنا بنيران كلمات شعرائنا
- شعراء المقاومة لا الغزل ، ولا بد للمؤسسة التعليمية من إعادة النظر في هذا الكم
- الغزلي الذي لا يدع قيماً ولا أخلاقاً لأبنائنا ، وكأن الفضائيات لم تؤد الغرض
- المطلوب؛ لتأتي المناهج لتكتمل الدور.

د.يوسف شحدة الكحلوت

أستاذ مشارك في الأدب والنقد

الجامعة الإسلامية-غزة

